الخــــلاص

للشاعر الهندي رابندرانات طاغور

من كتاب ظهر حديثا بعنوان «الزورق الذهبي»

ترجمة الأستاذ عبد المسيح وزير

الاستاذ عبد المسيح وزير أحد كتاب العراق القلائل الذين ينبغون في نصور الثقافة الهندية نصف ولهذا وهو المترجم الرسمي لوزارة الدفاع العراقية، وصاحب الاثر الجيد ومستطاب المكر به ومنتدى أكثر الصحف والمجلات العربية الرئيسية

تحلس العاشقة المنكوبة في حبها الى حديقة أزهار تفتحت عن رائع زهورها . فتجعل لمشوقها الراحل تمثالا من طين يبرز رويداً رويداً في شبه الصورة المحفوظة في ذاكرتها .

تفرس في التمثال ثم تحدق إلى الماضي فيجول الدمع في عينيها.

وفي كل يوم يزول ظل متكاثف يكتنف الصورة المنقوشة في لوح قلبها. فالرسم الذي كانت تراه بالامس بارزاً جليا تلفيه اليوم متضائلا موهاً . وكما تطبق الزنبقة وريقاتها ليلا تسدل العاشقة الستار على ذكرى غرامها .

تثور سورة غضبها على نفسها . ويأخذ الخجل مأخذه كله منها . فتعمد إلى التقشف . فتعيش على الثمار والماء . وتنام على أديم الارض .

وكلما دنا التمثال من الكمال بعد عن شبه الصورة المكنونة في ذاكرتها . ويخيل إلى العاشقة أن ذلك التمثال لا يشبه صورة انسان على الارض . ولكنها تخدع نفسها فتحسبه الحبيب الذي فقدته إلى الابد .

تعبد التمثال مع عبادتها الزنابق . وتوقد حوله سرجا مصوغة من ذهب . فيعبق المكان بالرائحة المنبعثة من زيت السرج .

وتتراكم الازهار والشموع يوما فيوما حول التمثال الى أن يختفي .

يتقدم اليها طفل ويقول : « نريد أن نلعب هنا » .

— « أين ؟ » .

— « بجانب دميتك » .

فتجيبه قائلة : « لن أسمح لقدم بالدنو من هذا المكان » .

ويقول طفل آخر : « نريد أن نقطف بعض أزهارك » .

— « أي أزهار تريدون قطفها ؟ » .

— « تلك الزنابق القريبة من الدمية الكبيرة » .

فتقول له : « لن أسمح ليد بمس تلك الازهار » .

ويطلب اليها طفل آخر قائلا : « أخرجي ذلك السراج وأنيري سبيلنا » . فترفض طلب الولد بقولها : « لن ينقل ذلك السراج من مكانه » .

يتوافد الاطفال عليها أفواجا أفواجا . فتصمت الى هذرهم، وتشهد توانيهم في مرحهم وجذلهم . فتستغرق في التأمل هنيهة . ثم تنتبه من غفلتها مذعورة فتتورد وجنتاها خجلا

بعد ذلك يفتتح معرض في المدينة المجاورة

فيزورها شيخ طاعن في السن ويسألها قائلا :

« ألا ترافقيني أيتها الحبيبة ! الى المعرض ؟ » .

« اني لا أستطيع ذلك » .

وتهرع اليها فتاة تناديها قائلة : « هلمي بنا الى المعرض ! »

« لا أتمكن من مرافقتك . لاني لا أستطيع الاستغناء عن لحظة أقضيها في سبيل ذلك » .

ويمسك طفل بهدب ثوبها متوسلا اليها بقوله : « خذيني معك الى ذلك المعرض العظيم » .

ولكنها لا تستطيع الانقطاع عن تأمل منية قلبها طرفة عين .

وفي جنون الليل تسمع صوتا كهدير الرعد . لان مئات الزوار وألوفهم يجوزون القرية في طريقهم الى المعرض .

وعندما تفيق من نومها يسكت وقع أقدام الزوار تغريد الطيور . فتشعر برغبة في الذهاب الى المعرض ، ولكنها تتذكر آنئذ أنها لا تستطيع ذلك . اذ ليس في وسعها أن تهمل عبادة الهها ـ صنم عشيقها الراحل ـ يوما واحدا .

وفي الصباح تبكر مسرعة الى الحديقة .

فأين الصنم . ياترى ؟

عبر الزوار زرافات بالقرية وقد عفا أثر الحديقة واختفى الصنم . أما سيل الرجال والنساء الجارف فلا يقف لحظة عن جريانه ،

تناجي نفسها في لهف قائلة : « أين حبيبي ؟ »

فيهمس في أذنها هامس قائلا : « هو بين عابري السيل هناك ! »

وفي هذه اللحظة ذاتها يتقدم اليها طفل ويقول لها : « خذيني معك »

« إلى أين ؟ »

« ألست ذاهبة الى المعرض »

« بلى . اني لذاهبة »

فتجوز حديقة الازهار وتنضم الى قافلة الزوار ، لانها وجدت فقيدها المنشود بين الاحياء .